Ministry of Higher Education
&Scientific Research
Wasit University - College of Education
Education College Journal

جمهورية العراق
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة واسط - كلية التربية
مجلة كلية التربية

No.
Date: / /201

العدد: ٢٥٧
التاريخ ١٩/ ٧/ ٢٠١٨

إلى/ أ.م. د ناهضة ستار عبيد المحترمة

م.م. رنا فرمان محمد المحترمة

جامعة القادسية – كلية الآداب

م / قبول نشر

نهديكم أطيب التَّحيّات:

تدارست هيأة تحرير مجلة كُلِّية التَّربية بَحثكم الموسوم

**أفعال التذكّر وانتهاكات السلطة في الرواية العراقية**

وبعد الاطلاع على آراء الخبراء تقرّر ما يلي:

☑ قبول البحث ، وسينشر في مجلتنا في الأعداد القادمة ، لسنة ( ٢٠١٨ ) متمنين لكم مزيداً من التَّقدُّم والعَطاء العلميّ .

☐ الاعتذار عن نشره .

مع فائق الشكر والتقدير

د سعد عبود سمار
رئيس هيأة التحرير
١٩ / ٧ / ٢٠١٨

E-ISSN ٢٥١٨-٥٥٨٦
P-ISSN ٤٢١٧-١٩٩٤
ISI Impact Factor (٢٠١٥) is: ١.٢٠١
ISRA Journal Impact Factor (JIF) is : ٢.٧٧٤

العراق - واسط - الكوت - حي الربيع
ecjuow@uowasit.edu.iq
eduj.uowasit.edu.iq

مجلـــة كليـــة التربيـــة

العـــــدد الثاني والثلاثون
آب / ٢٠١٨

# أفعال التذكُّر وانتهاكات السلطة في الرواية العراقية

أ.م.د ناهضة ستار عبيد  م.م رنا فرمان محمد

جامعة بالقادسية ــ كلية الآداب

**Abstract**

**The research deals with two types of relationship with memory represented by the relationship of society with memory on the one hand, and the relationship of power to memory on the other. This was done by standing in the act of remembering which the authority adopted as a means to serve its interests.**

**المقـدمـة**

في أمَّة اقترنت بماضيها إلى الحد الذي سمح للتاريخ ومقولاته الماضويَّة بالاستحكام داخل منظوماتها الفكرية والثقافية ، حينئذ يجدر الاهتمام وتصويب النظر نحو الكيفية التي عومِلَتْ بها "الذاكرة" بوصفها الحارس الأمين لأحداث التاريخ ومقولات الماضي ، ومن ثمَّ رصد ما يسمى بـ "فعل التذكُّر" ؛ تلك الممارسة القصدية التي تقوم بها السلطة بمؤسَّساتها بغية تدعيم الرأسمال الرمزي لها من أجل المحافظة على تراتبيَّاتها السلطوية المُنبثَّة في ثنايا المجتمعات ، ويمكن أن نحدِّد السبب أو الدافع الرئيس الذي دفع نحو التقصِّي عن كيفية التعامل مع ذاكرة الجماعة هو جوهر السؤال حول كيفية تحوُّل محتوى الذاكرة لما يتلائم ومصالح السلطة ، وكذلك كيفيَّة تحوَّل الماضي إلى ذاكرة رسميَّة مُمَأسسة وبصورة أكثر دقَّة ؛ كيف تحوَّل ماضٍ بعينه دون غيره إلى ذاكرة اجتماعية وسياسيَّة مفروضة على جماعات مختلفة أو مجتمع ذي تعدديَّة ثقافية لكلٍّ منها ماضيها وذاكرتها الخاصة ،

وهنا يمكن رصد وملاحظة أن ذلك لا يتمُّ إلَّا عبر فعل مُمنهج ومقصود تقوم به مؤسسات ثقافية وفكرية وسياسية منظَّمة ممثَّلة بمنظومة السلطة بوصفها مجموعة قوى – بمفهوم فوكو – تسعى إلى جعله ذاكرة رسميَّة موحَّدة تعمل رديفاً لخطابها السياسي ومُعيناً على الاقناع به ، وعبر مسيرة تحوُّل "ماضٍ" معيَّن مُنتقى إلى ذاكرة رسمية عن طريق أفعال التذكُّر القصديَّة يتمّ ؛ طمس ذاكرات لا تنتمي إلى خطاب السلطة لتتحوَّل إلى ذاكرة مقموعة أو مدحورة أو مُتلاعَب بها ، أو تُشَوَّه حقائق ومفاهيم بغية تدعيم ممارسات السلطة وانتهاكاتها ، وهو الممارسة التي لم تغفلها النصوص الروائية بوصفها نظام التمثيل اللغوي القادر على إعادة تشكيل الواقع نصياً ، والنظام النقدي الفني الأكثر دقة في تشخيص وقائع جدلية السلطة والمجتمع والتجارب الإنسانية في ظل تلك العلاقة وأساليب السلطة في استهداف الذاكرة والتعامل معها لذا فقد تمكنا من رصد هذا النوع من الممارسة الذاكرية في مجموعة من النصوص التي تناولت قضايا السلطة والمجتمع ، وقد قسَّمنا البحث إلى مقدمة ومهاد نظري تحدثنا فيه عن الذاكرة بوصفها هدفاً لترسيخ الوجود السلطوي إلى جانب مفهوم الفضاء العام بوصفه المساحة المشتركة لتحقيق الهيمنة ، وفعل التذكُّر وسيلة في ذلك ، أما الأول والثاني فكلاهما مبحثان تطبيقيان حول أنواع فعل التذكُّر والممارسات التي يتحقق عن طريقها فكان المبحث الأول عن فعل التذكر ممثلاً بالسياسة العامة للسلطة والغاية الكامنة من ورائها ، أما المبحث الثاني فقد كان عن أسلوب التلاعب بالذاكرة ، وأسلوب إعادة كتابة التاريخ ، ثم خاتمة بأهم نتائج البحث تليها قائمة بالمصادر والروايات نماذج البحث .

## التمهيد

### التأسيس الموضوعي

لا غرابة من نزوع الإنسان نحو الماضي ، إذ إنَّ مجهوليَّة المستقبل جديرةٌ بخلقِ قلقٍ إنطولوجيٍّ لدى الإنسان فرداً أو جماعةً ، يدفعه على الدوام نحو خزين الماضي بما تنطوي عليه عوالمه من مضامين إنسانيَّة يفيد منها إنسان الحاضر في استشراف الرؤى المستقبليَّة ، أو بحثاً عن مُتحقِّقات من انتصارات وأسبقيات تُحرِز للإنسان وجوداً ، أو هَفَوَات وإخفاقات تشكل له تجارباً ، لأنَّ البحث عن الذات هو أحد أهم دوافع الإنسان نحو سبر أغوار ماضيه ، فتحرص الجماعة على تتبُّع

أحداث الماضي المتفرّقة ؛ زمانياً ومكانياً ومن ثمَّ ربطها وفق "صيغ رمزيَّة" ذات طبيعة سرديَّة اجتماعيَّة تاريخيَّة بغية إعادة تشكيلها ومن ثمَّ إنتاج سرديات معيَّنة ذات جذور ضاربة العمق قِدَماً ، تؤسِّس الجماعة في خلالها هُويَّتها الخاصَّة التي تميِّزُها من الجماعات الأخرى .

ممَّا يدفعنا نحو إدراك أهميَّة مفهوم الأساطير التأسيسيَّة* التي تحرص الجماعات على امتلاكها بوصفها العنصر الأساس في بناء الهُويَّة الجماعيَّة ، وانطلاقاً من ذلك تسعى السلطة إلى إنشاء أساطيرها التأسيسيَّة عبر الاجتهاد في تحقيق الإجماع حول رؤيتها للماضي وهي في خلال ذلك لا تني أن تطمس ذاكرة فئات من تلك الجماعة في مقابل تغليب ذاكرة فئة معيَّنة عليها بغية تشكيل هويَّة جماعيَّة واحدة[١] بما يتوافق مع مصالحها ، وهو ما يُطلَق عليه بـ"الهوس الهووي" أو "الجُرح النرجسي" لدى الأنظمة العربية القومية تحديداً ، هوس بعنصر هووي معيَّن تستمد منه مشروعيتها أو هكذا تعتقد ، تتجاهل فيه كل خصوصية إثنيَّة أو ذاكراتية [٢] ، وهكذا فإنَّ الصِّلةَ بالماضي وموضوع الهُويَّة صنوان لا يفترقان بوصفهما يُشكِّلان – مُتقاطعين – أحد أهم الموضوعات التي تَشغَل الجماعات والأمم ، وتتطلَّب رحلة البحث في الماضي آليَّة من أهم آليات بناء الحضارات والهُويَّات وهي "الآليّة الرابطة" التي لا يتم إلاَّ عن طريقها إنتاج أساطير الأمم التأسيسيَّة و سرديات التاريخ عامَّة .

تكمن وظيفة الآليّة الرابطة في عملية رصد مواطن الترابط والاتساق بين أحداث الماضي المتفرّقة ومن ثمَّ الربط بينها عبر مراعاة بُعدين لهذه الأحداث هما ؛ البُعد الاجتماعي ، والبُعد الزمني التاريخي ، فتتجلى الآليَّة الرابطة داخل الحضارات عبر ربط الإنسان الفرد بجماعته من جهة ، بوصفها تشكِّل أوَّلاً : "العالم الرمزي" للقيم والمعاني المشتركة ، وثانياً : "المجال المشترك" للتجارب والتوقُّعَات وحركة الأفراد ، ومن جهة أخرى عبر ربط الماضي بالحاضر ، إذ من خلالها تتشكَّل التجارب المؤثِّرة والذكريات الفارقة التي تضم صوراً وحكايات لأزمان متعاقبة مضت ؛ فتجعلها حاضرة على الدوام في أفق زمنٍ حاضرٍ متقدِّمٍ باستمرار لتؤسس بذلك " الذكرى" ، فتكون الآليَّة الرابطة هي مظهر يُمثِّل "أساس" الحكايات الأسطوريَّة والتاريخيَّة ، أساساً متضمِّناً جانبين هما ؛ جانب الإرشاد والسلوك الاجتماعي ، وجانب الرواية والقص التاريخي[٣] ليُشكِّل الجانبان معاً سرديات الأمم عن نفسها أو حكاية الهويَّة لجماعة معيَّنة تُغْلِنُ من ذلك عن وجودِها ، إذ إنَّ الجانب الاجتماعي والجانب

التاريخي اللذين تمَّ مراعاتهما في عملية ربط أحداث الماضي ( كلاهما يؤسِّس انتماء الفرد وهُويَّتِهِ ، وكلاهما يُمكِّن الإنسان الفرد من أن يقول كلمة "نحن" )[٤] أي ما يجعل أفراد المجتمع مرتبطين في هُويّة واحدة ، مؤسَّسة على عناصر مشتركة ، تمَّ استخلاصها من أحداث متفرِّقة حدثتْ في أزمان متباينة وأماكن مختلفة .

إنَّ سبيل الإنسان الوحيد في رحلة النزوع إلى الماضي هي "**الذاكرة**" ، إذ ( إننا لا نملك مورداً آخر فيما يخص الإحالة إلى الماضي سوى الذاكرة عينها )[٥] أي من ناحية بُعدها الابستمولوجي وهو السبب الذي دفع "بول ريكور" للانتصار للذاكرة إزاء التيار الذي ربطها بالألم ، فتتصاعد فاعليَّة "الذاكرة " وحالة العَود والانغمار بالماضي كلَّما اشتدَّت ضبابيَّة الحاضر ، وتعطَّلتْ بوصلة الاتجاه والرؤية ، أو تعرَّضت الـ (نحن) للانتهاك من قبل جماعة أخرى أو سلطةٍ ما ، من هنا قد تصبح "الذاكرة" ابتلاءً ومرضاً في المجتمعات ذات التعدّديَّة الثقافية ؛ الدينية ، والعِرقية الإثنية التي تتعرض فيها بعض الجماعات للاقصاء العرقي او الديني او الطائفي أي ما لم تتوفَّر لها الحاضنة الملائمة القائمة على أُسس أخلاقية للتواصل الحي والحُر بين الذاكرات المتباينة من أجل تجنُّب تيارات التطرُّف أو طغيان ذاكرة دون سواها ، وقبل ذلك ما لم تتوفَّر السلطة العادلة التي ينهض على عاتقها مدُّ جسور التواصل بين آفاق التعدُّدية الثقافيَّة داخل الجماعة الواحدة ، وتطوير صيغ سياسية وثقافية تؤسِّس لخَلِق إمكانيات التعايش والسلميَّة بين الفئات المختلفة للمجتمع الواحد . وفي المجتمعات التي تعجز عن تطوير هذه الصيغ فإنَّه قد يحدث ما يمكن أن نسميه "صراع الذاكرات" بين هذه الثقافات والإثنيات والطوائف الدينية ، ولا يحدث مثل هذا الصراع أو تظهر بوادره إلاَّ نتيجة استفزازات مقصودة بالضرورة يقوم بها طرف السلطة أو ما عبَّر عنها "تودروف" ( الاستحواذ الكلِّي على الذاكرة )[٦] – وهو محور البحث هنا – إذ غالباً ما تميل السلطة – في سعيها نحو تحقيق مشروع صناعة ذاكرة رسمية – نحو ذاكرة معينة بين مجموعة الذاكرات المتعددة ، ومن ثمَّ السعي نحو تغليبها و تسييدها على حساب الذاكرات الأُخر . وهو ما يحدث في مجتمعات الأنظمة الشموليَّة فهي أنظمة تحاول على الدوام تسييد ذاكرة الفئة التي تنتمي لها طائفياً أو آيديولوجيَّاً ، أو مجتمعات الأنظمة الديمقراطيَّة حديثة التَشَكُّل بوصفها لا تنفصل عن تجربة سابقتها من الأنظمة الشموليَّة في التعامل مع الذاكرة [٧] فإنَّ حداثة التجربة أيضاً ومن ثمَّ قلَّة الخبرة السياسية يؤديان إلى قصور معرفي في التعامل مع جماعة أو

شعب مُتعدِّد الطوائف ، ممَّا يدفع نحو سوء إدارة ومن ثمَّ صراع طائفي قد لا تحرِّكه أطماع السيطرة لدى فئات معينة فحسب ، إنَّما بدافع الإحساس بالغبن والتهميش والإقصاء أيضاً.

إنَّ صراع الفئات هذا داخل مجتمعات التعدّدية الثقافية إذا كان بدافع الأطماع فهو بحسب د.نادر كاظم ليس من أجل استملاك "الذاكرة" لأنَّها شأنٌ خاص بكلِّ جماعة لا تتطابق فيها مع ذاكرة جماعة أخرى، فهناك أكثر من ذاكرة ، وأكثر من تحبيك للتاريخ ، وأكثر من سرديَّةٍ لكلٍّ منها ، فلا يوجد ذاكرة مشتركة يتمُّ السعي لاحتكارها بل لكلِّ جماعة داخل المجتمع الواحد ذاكرتها الخاصة بها ، إنَّما الصراع يكون من أجل استملاك ما هو عام ومشترك بين الجميع والمقصود به هو "**الفضاء العام**" لأنَّه المجال الذي يجري فيه تنظيم استعمالات الذاكرة ، وسياسات التذكُّر[٨] ، فهو الفضاء الذي يجتمع فيه الأفراد من أجل صياغة رأي عام عبر التبادل العقلاني لوجهات النظر في مسائل تخص المصالح العامة ، أو المكان الذي تجري فيه الجدالات من دون أن يُدَّعى أنَّه مكان مُحتَكَر لأيِّ تراث بوصفه مكان "الوحدة المسالمة" ، الوحدة التي يمكن أن يوجد داخلها الصراعات الساخنة والآراء المتنافسة والاختلافات التي لا تُحَل[٩] وتبقى مسالمة لأنَّها قائمة على أساس عقلاني تواصلي بما تشترطه العقلانية والتواصل من أخلاقيات ، ومن جهة أخرى فإنَّ ما يحدث داخل هذا الفضاء من عمليات – بالنظر لأطماع استملاكه من قبل جهةٍ ما – يتيح بأن تتسيد ذاكرة من دون سواها لأنَّ ( مَنْ يمتلك فضاء التذكُّر العام يمتلك القدرة على تحديد معايير التذكُّر الجيّد ، وتحديد ما يُسمَح بتذكُّرِهِ ، وما لا يُسمَح لفعل التذكُّر أن يمتد إليه )[١٠] أي أنَّ من يمتلك "الفضاء العام" هو الذي يتمكَّن من تغليب ذاكرتِهِ ، وتغليب الذاكرة هو سلطة بحدِّ ذاتِها ومن ثمَّ فإنَّ تغييب الذاكرات الأخرى هو تدعيم لهذه السلطة ، وأن تمتلك معايير التذكُّر هو أن تمتلك شرعية للقيام بكل ما هو غير مشروع ، لذا تكون "الذاكرة" هنا هي "الهدف" الذي ترمي له السلطة تهميشاً أو تزييفاً من أجل تأسيس ذاكرة "رسمية" تخدم مصالحها المتمثِّلة في بناء هُويَّة معينة للنظام السياسي أو المجتمع بحسب رؤيتها هي ، من أجل تسويغ ممارساتها السلبية وغير المشروعة سواء مع طوائف وأقليَّات / ذاكرات الشعب الأخرى ومن ثمَّ تغييبها وتهميش وجودها وإقصائها وطيَّها تحت ظل ذاكرة رسميَّة مُنتقاة بعناية ، أو من أجل تسويغ ممارساتها غير المشروعة ويتمُّ ذلك عن طريق ممارسة السلطة "أفعال التذكُّر" التي تتجلَّى عبر سياسات مختلفة للسلطة .

## المبحث الأول

## أفعال التذكُّر في الرواية العراقية بعد التغيير

قادنا البحث حول هذه الممارسة نحو النص الروائي العراقي في مرحلة ما بعد العام ٢٠٠٣ أي مرحلة الكشف عن أساليب سلطة نظام البعث ، السابقة لعام ٢٠٠٣ ، وسلطة ما بعد التغيير الذي حدث في ذلك العام بوصفه التاريخ الذي أفصحت فيه الرواية العراقيَّة عن أساليب أفعال السلطة باختلاف أنواعها ، فكان لنا البحث بينها عن أفعال التذكُّر ممارسةً سلطويَّةً نابعة من علاقة السلطة بالذاكرة وما يندرج ضمنها من ممارسات مثل ؛ السعي نحو بناء هُويَّة رسميَّة موحَّدة ، وإعادة كتابة التاريخ ، إلى جانب أنَّها علاقة قائمةً من أجل أهداف وغايات ممثَّلةً بـ ؛ محاولة فرض الهيمنة وترسيخ الوجود ، وتسويغ الممارسات اللاإنسانيَّة من حروب وانتهاكات وممارسات قمعيَّة وعنف وغيرها ، فضلاً عن التداعيات الناتجة من ذلك (خاصة إذا كانت الدولة منحازة ومؤسسة على مطابقة مزعومة بين تاريخ الدولة وتاريخ جماعة بعينها داخل الدولة )[١١] وما ينتج عن ذلك من تلاعب بالذاكرة وإقصاء ذاكرات الأقلِّيات الأخرى الذي بدوره يدفع نحو صراعات داخلية تودي بالمجتمعات نحو دائرة الهلاك ، لذا فقد قسَّمنا أفعال التذكُّر على وفق وسائل وسياسات السلطة وأساليب تعاملها مع الذاكرة .

تنتهج الأنظمة الحاكمة نظام سياسة عامَّة يتوافق بالضرورة مع ما يخدم مصالحها الممثَّلة ؛ ببناء هُويَّة رسميَّة موحَّدة بغية تدعيم وجودها ، وترسيخ سيادتها واستمراريَّة هيمنتها ، وتسويغ ممارساتها التي تتعارض أحياناً مع رغبات الجماعة المحكومة خاصَّة في حالات هيمنة الأنظمة الشموليَّة المنفردة بالقرارات وتحديد مفهوم المصلحة العام ، دونما اعتبار للأنظمة أو القوانين الدوليَّة فيما يتعلَّق مثلاً بضمان أمن المجتمعات ، أو قوانين العلاقات مع دول الجوار ، أو غيرها من المُحَدِّدَات ، لذلك ترتبط السياسة العامَّة لمثل هذه الأنظمة مع هدف أو غاية محدَّدة .

وقد تعدَّدت التعريفات لمفهوم السياسة العامَّة ، فقد عرَّفها "رجارد روز" بأنَّها ( سلسلة من الأنشطة المترابطة قليلاً أو كثيراً ، وإنَّ نتائجها تؤثِّر على مَنْ تهمُّهم مستقبلاً وليست قرارات منفصلة

)[١٢] فمن هذا التعريف يمكن أن نفهم إنَّ السياسة العامَّة هي عبارة عن نسق مترابط أو متسلسل من الأنشطة والممارسات ذات نتائج عامَّة ، أمَّا "كارل فردريك" فيعرِّفَها بأنَّها ( برنامج عمل مُقْتَرَح لشخص أو لجماعة أو لحكومة في نطاق بيئة محدَّدة ، لتوضيح الفرص المُسْتَهدَفة والمُحَدِّدَات المراد تجاوزها سعياً للوصول إلى هدف أو لتحقيق غرض مقصود ، فالسياسة هنا موجَّهة نحو أهداف وهذا ما يجعل منها سلوكاً هادفاً ومُوَجَّهاً على الرغم من أنَّ أهداف الحكومة قد يَصعُب فرزها أحياناً على وجه التحديد )[١٣] فتتحدَّد هنا الطبيعة الهادفة للسياسة العامَّة ، فضلاً عن وضوح البُعد السياسي في قراراتها بوصفها تشتمل على قرارات سياسيَّة من أجل تنفيذ برامج عامَّة الغرض منها تحقيق أهداف اجتماعيَّة [١٤]، وارتباط السياسة العامَّة بهدف مُحدَّد أو مقصود تكمن أهمِّيته ضمن فاعليَّة ذلك الهدف في مواجهة مشكلة أو حالة معيَّنة وفق ما حَدَّد ذلك "جيمس أندرسون" لدى بلورته تعريفاً واضحاً لمفهوم السياسة العامَّة ذلك بوصفها ( برنامج عمل هادف يعقبه أداء فردي أو جماعي في التصدِّي لمشكلة أو مواجهة قضيَّة أو موضوع )[١٥] فإذا كان ارتباطها بهدف محدَّد ، الغاية منه مواجهة مشكلة أو قضيَّة ما ، فإنَّها يمكن أن تمثِّل من جانب آخر "نظام حقيقة" خاص بالمجتمع الذي انتهجتها سلطته ، إذ ( لكلِّ مجتمع نظام حقيقة خاص به "سياسة عامَّة" للحقيقة )[١٦] إنَّما بحسب مفهوم "ميشيل فوكو" للحقيقة بوصفها ( مجموعة من الإجراءات المنظَّمة لإنتاج وتشريع وتوزيع وترويج وعمل الملفوظات ، "الحقيقة مرتبطة دائرياً بأجهزة سلطة تنتجها وتحميها ، وبأفاعيل سلطة تُسْتَنتَج منها وتواصلها ، هذا ما نسميه "نظام الحقيقة")[١٧] أي أنَّ السلطة تعمد إلى سياسة عامَّة معيَّنة ينتج أو يتبلور عنها حقيقة معيَّنة تخدم بدورها قضيَّة خاصة بالسلطة أو مشكلة ما ، فتتمثَّل السياسة العامَّة أفعال تذكُّر تمارسها السلطة فعليَّاً ، وعلى أمد طويل ، بما يخدم مصالحها في قضيَّة – على الأغلب – غير مشروعة أو لا إنسانيَّة بغية تسويغها وعدم إدانتها ، و انطلاقاً من ( بديهيات النظرية السياسية أنَّه ما من نظام بإمكانه الحكم مطوَّلاً من دون موافقة المحكوم )[١٨] وهو ما انبرت له سلطة البعث في العراق ضمن ما تمَّ رصده في رواية ( **أساتذة الوهم** )* للروائي "علي بدر" ، النص الذي تتكشَّف فيه بصورة جليَّة حالة التناقض التي تعيشها بغداد الثمانينيات ، بين مظاهر مدنيَّة وتحضُّر وانفتاح من جهة ، وبين دكتاتورية وممارسات قمعيَّة ونظام عسكرة من جهةٍ أخرى ، إذ أنَّ كل الدول التسلطية بحسب "إريك دافيس" ( أردفت اللجوء للعنف بتأكيد شديد على الإقناع الآيديولوجي )[١٩] ، يتحدَّث الراوي عن ( عيسى ) صديقه المثقَّف القلق المتردِّد أبداً : (( **هكذا كان أمام كشك تذاكر**

**السينما ، يتوقَّف برهةً يُخرِج نقوده من جيبه ... ثم يتراجع ... ويعبر نحو بار معتم في الزاوية ، بار معتم أعتاد عيسى أن يقضي وقته طوال العام الفائت على الحاجز الخشبي للبار أمام إيدا ، النادلة الفلبينيَّة التي تعمل منذ خمس سنوات في بارات بغداد ... لم يدخل ، تراجع خطوتين ، تأبَّط كتبه التي اشتراها من المكتبة العالمية وسار في الطريق** ))[٢٠] فعبر مثل هذه الإشارات وغيرها ، يعرض النص مظاهر المدنيَّة في بغداد من سينمات ، وبارات ، ومقاهي عصريَّة ، ومسارح بكافة أنواعها ، وجاليات من جنسيات مختلفة ، ومكتبات زاخرة ، ودور لترجمة الأدب العالمي ( دار المأمون ) ، وغاليريات ( غاليري الفن الشهير ) ، فكل هذه المظاهر بما تنطوي عليه من سمة ثقافيَّة تطبع المدينة بطابع التحضُّر ، يوازيها وجوداً نظام دكتاتوري قمعي عسكري يقدِّم الموت المجاني بشتَّى أنواعه ، يقول : (( **استحوذت عليَّ فكرة المقارنة بين صديقين ميتين : منير وعيسى ، منير قُتِل ، استُشهِد في الحرب ، وعيسى أُعْدِم بسبب فراره من الحرب ، الأوَّل اعتبروه شهيداً وطنيَّاً ، والآخر اعتبروه خائناً** ))[٢١] وينفِّذ أحكام الإعدام في الشوارع العامَّة ، إذ إنَّ الوجه الآخر لبغداد هو ساحة لمطاردة الشباب بتهمة الفرار من الخدمة العسكريَّة ، يقول : ((**ليس الموت هو بحدّ ذاته ما كان يُخيفني ... ولكنَّه القلق المُدمِّر لفرار أو هارب يتخفَّى في المدينة من الملاحقات والقتل والتعذيب ، فما أن تُلقي السلطات على أي فرار ( هارب ) فإنَّ الأمر لا يحتاج مدَّة طويلة للإعدام ، وأحياناً يتمُّ الإعدام داخل المدينة ، أمام مرأى الناس وهو مشهد متكرِّر في هذه المدينة التي كانت تتغربن وتتحضَّر وتترقى من جهة ، ومن جهة أخرى تشبه أيام الإمبراطوريات القديمة في تقديم مشهد الموت علناً ، حيث يوضع الفُرَار من الحرب على خشبة أمام الناس ويُطلَق عليه الرصاص** ))[٢٢] ومشهد الإعدام العلني يعدَّه "ميشيل فوكو" استراتيجيَّة سلطة ، بوصفه مشهداً مسرحيَّاً مريعاً ، إذ يرى ( إنَّ ذلك الديكور الصاخب ، الكرنفالي الذي كانت تمتد فيه يد العدالة القويَّة لتنفيذ الحكم على مرأى المشاهدين يهدف إلى حفر رسالته في أذهانهم بشكل يتعذَّر محوه ، وفي أغلب الأحيان كانت العقوبة تتجاوز فداحة الجُرم ، وبهذه الطريقة تتمُّ إعادة تأكيد تفوُّق السلطة ونفوذها المُطلق )[٢٣] وهذا يتمُّ في الغالب عبر – ما يشير عنه فوكو في حديثه عن سياسات العقاب – وضع تبرير سياسي لحق العقاب [٢٤]، كما هو حال السلطة العراقيَّة في تشريع هذا النوع من العقوبة . وقد شخَّصَ الرَّاوي التناقض الظاهر الذي يمكننا تحديده بأنَّه فعل تذكُّر عبر سياسة عامَّة مقصودة ذات أهداف سياسيَّة ، يقول : (( **كان صعود صدام حسين هو تقهقر بغداد من الناحية السياسيَّة ، لقد وصلت بغداد ذلك**

**الوقت أعلى نقطة لها في القمع السياسي ، وفي القهر ، وفي الاستبداد ... كانت نوعاً من نهاية الفضاء العام الذي يُنْتِج السياسة والثقافة والحياة ، ولكن المفارقة أيضاً أنَّها بلغت أعلى نقطة لها في مدنيَّتِها ، كان التناقض بين حكم استبدادي توتاليتاري فظ وبين تطوُّر مدني وحضري هو الذي أوصلنا إلى نوع من التناقض الفصامي ... وأدَّى إلى تَهَدُّم الحياة المدنيَّة في التسعينيات ، ذلك إنَّ القهر السياسي لن يسمح بتطوُّر حياة مدنيَّة بالمرَّة ... وصلت بغداد ذلك الوقت قمَّة حداثتها واقترابها من الغرب ، لكن لم يكن هذا الأمر عبر تطوُّر اجتماعي طبيعي ، إنَّما كان تحدّياً سياسياً يسير باتجاه معاكس لاتجاه إيران الإسلامية ، ومن جهة أجرى كان تدعيماً لحركة اجتماعية معادية للحركات السياسيَّة الدينيَّة في الداخل ، واستجابة لمتطلبات العلاقة مع الغرب ))**[٢٥] فثنائية التحضُّر والمدنيَّة إزاء القمع والعسكرة هي في الحقيقة ثنائيَّة ؛ الوجود الزائف ، والوجود الحقيقي ، فمظاهر التحضُّر هي نتاج سيرورة وتراكم مفاهيم إنسانية تظهر في سلوك الأفراد ومن ثمَّ أسلوب حياة عام ، لذا فهي بحاجة إلى بيئة ملائمة كي تتحقَّق ديمومتها ، ولم تكن بغداد الثمانينيات هي البيئة الملائمة بوجود هذه النوع من السلطة ، وعلى وفق ذلك لم تكن هذه المظاهر امتداد شرعي لمدنيَّة العقود السابقة ، إنَّما كانت تستمد ديمومة زائفة ناتجة عن رعاية مقصودة مُقَدَّمة من السلطة ؛ سياسة عامَّة لهذه السلطة ؛ نظام حقيقة يمارس فعل التذكُّر بواقع النقيض ممثَّلاً بعدو تلك المرحلة ؛ إيران ذات الطابع الإسلامي المتشدِّد المُنغَلِق على نفسه وعلى الموروث الديني ، أي إنَّه فعل تذكُّر لإدراك الاختلاف ؛ اختلاف الهُويَّة الثقافيَّة والاجتماعيَّة الذي عن طريقه تتحقَّق عمليتي؛ الكشف عن المغايرة ومن ثمَّ المقارنة بين مجتمع متحضِّر ، ومنفتح ، ومتغربن إزاء مجتمع متشدِّد ، ومتطرِّف إيحاءاً بالانغلاق والرجعيَّة ، فتكتسب بذلك الحرب شرعيَّة وجودها وديمومتها بوصفها حرب التطوُّر ضد التخلُّف ، وهي في النهاية ليست سوى أفاعيل سلطة ، محاولة كسب القبول وشرعيَّة وجود الحرب وتبرير استمراريَّتها المُقلِقة ومن ثمَّ ضمان الدعم الجماهيري للسلطة ، فضلاً عن محاولة خلق بيئة نابذة للحركات الدينيَّة المُعارِضة للنظام داخل البلاد والموالية لإيران ، إلى جانب تحقيق التناغم على وفق العلاقات الخارجية الغربية للبلاد ، أمَّا الفضاء العام فهو إذا كان ( يسمح ببروز مساحة مفتوحة ينخرط فيها المواطنون من أجل النقاش الحرّ حول قضاياهم وشؤونهم العامة ، ومن بينها التناول العام للتاريخ واستحضار الماضي من خلال النشر الورقي والإلكتروني وأجهزة الإعلام المتنوِّعة ومن خلال الملتقيات والندوات والمحاضرات وغيرها من أشكال التجمع بقصد التداول الحر والمفتوح في الشأن

العام )[٢٦] فإنَّه في تلك المرحلة كان مقموعاً ومكرَّساً بفعل هذه النمط من السياسة العامة نحو كل ما يلتقي مع السلطة في مسارها الفكري القومي وتوجُّهاتها العسكريَّة ، يقول الراوي متحدِّثاً عن القمع والاستبداد في تلك المرحلة في بغداد : **(( كانت نوعاً من نهاية الفضاء العام الذي ينتج الثقافة والسياسة والحياة))**[٢٧] لأنَّ المثقفين وقادة الحراك الاجتماعي لم يكونوا إلَّا بين منتمياً قسرياً للفكر القومي السلطوي ، وبين وقود حرب أو هارب منها ومتخفِّياً ، يقول : **(( لم يكن قرار الفرار من الحرب قراراً سهلاً ، ومع ذلك هرب عيسى، وهرب كاظم سلمان علي ، وهرب سالم خيون ، وهرب إبراهيم محسن ، وهرب علي عباس ، وعادل جواد والآخرون من جماعة الكتَّاب والمسرحيين الجبهة وأصبحوا يتخفُّون في المدينة ، في الصباح لا يخرجون إلا قليلاً وفي الليل يخرجون لقضاء الوقت في البارات والملاهي مع اللصوص والنشالين .. عالم كامل في الليل يصنعه الفرارية المثقفون بموازاة عالم كامل في الصباح تصنعه السلطة ))**[٢٨] وهذا الازدواج الوجودي للواقع يكشف عن توفُّر قصدية السلطة في رعاية مظاهر المدنية بما يتناسب مع مصالحها ، وهو ما رصدناه أيضاً في رواية ( **فراسخ لآهات تنتظر** )* للروائي ( زيد الشهيد ) في خلال حديث الراوي بعد أن أعرب عن رغبته لصديقه "كمال" في استعادة ممارساتهم اليومية أيام دراستهم في بغداد الثمانينيات ، يقول : (( **رفض كمال اقتراحي في استعادة السيناريو ، مستنداً إلى سببين : أولهما أن لا وجود للمركز الثقافي السوفيتي أو البريطاني . فالأول أُغلِق منذ أعوام بعيدة ، بعدما نُظِرَ إليه على أنَّه بؤرة هدَّامة تُطيح بصرح القومية ؛ أمَّا الثاني فقد أُغلِقت أبوابه يوم غُزيت الكويت ؛ إذ استحالت بريطانيا الحميمة بالأمس عدوَّة لدوداً ذلك اليوم** ))[٢٩] من هنا يتكشَّف التوظيف القصدي في رعاية هذه المظاهر في ظل نظام الحكم البعثي الشمولي ذي الطابع العسكري ، رعاية تتغير مع تغير السياقات والمصالح وليست سياسة أصيلة للنظام ، ونرصد كذلك من الممارسات التي تندرج ضمن ممارسات السياسة العامَّة للسلطة ، والمُوجَّهة أيضاً صوب ترسيخ المُغايرة بين النظامين الحاكمين في العراق وإيران ، بوصفها ممارسات تحمل الطابع الغربي التي تبلورت في مرحلة الثمانينيات وهي إقامة "حفلات عيد ميلاد الرئيس" ، وتكريس الإعلام لها إلى الحدِّ الذي أصبحت فيه أشبه بالعيد الوطني ، تنشغل فيه المدارس في عموم البلاد ، وتتزيَّن البيوت، والشوارع ، والمؤسَّسات ، تقول الرَّاوية في رواية ( **غايب** )* للروائيَّة ( بتول الخضيري ) عن جارهم – الأستاذ في الكليَّة العسكريَّة – الذي لم تكن له علاقات اجتماعيَّة في المنطقة سوى ما يعدُّه من أهم مسؤوليَّاته : (( **فقد كانت إحدى مسؤولياته**

**المدنيَّة هي تذكير الجميع بأن يُعلّقوا معالم الزينة البرَّاقة في الممرَّات خلال الأعياد الوطنية وإيقاد شمعة أمام باب كل شقَّة بمناسبة عيد ميلاد الرئيس في شهر نيسان))**[٣٠] فضلاً عن ذلك فهي من جهة أخرى محاولة إيحاء بعدم تأثير الحرب التي أخذ طول أمدها ، وازدياد أعداد ضحاياها يثير مخاوف الجماعة وسخطهم وتذمُّرَهم ، ونجد ذلك أيضاً في رواية ( **الصندوق الأسود** )* للروائية ( كُليزار أنور ) ، تقول الراوية عن تاريخ عيد ميلاد الرئيس بعد إزالته من الحكم : **(( كان لا يحق لنا أن نتساءل – ولو سرَّاً في دواخلنا – هل كان العراق في عام ( ١٩٣٧ ) متطوِّراً إلى درجة أن دوائر النفوس كانت تسجل تواريخ كل المواليد بهذه الدقة ؟! ١٩٣٧/٤/٢٨ وأين ؟ في قرية منسيَّة لا وجود لها حتى على الخريطة ! ... ذكرى الميلاد تعود ، لكن دون دفوف تُمجِّد له ، وبالأمس كان يوماً يتوقَّف فيه الزمن وتتعطَّل الحياة إيذاناً ببدء الفرح القسري الذي لم يدخل يوماً لشعاب الروح ، والرقص أظنُّه – لمن كان يرقص حينها – رقص طير مذبوح من الألم ، يأتي الامبراطور في المساء وفي ضوء الشموع وبسيف قبضته من ذهب يقطع كعكة عيد ميلاده الميمون ، كعكة صنعت من جسد شعبٍ ما عرف معنى الإرادة الحرَّة ... ملايين الدنانير تُصرَفولا أحد يتجرَّأ حتى على القول : هناك أفواه جائعة ذلَّها الحصار الذي فُرِضَ علينا بسببه ، وهناك أطفال وشيوخ يموتون كل ساعة ولا يجدون ثمن الدواء ! المهم .. الكعكة .. لتتوج ميلاده المزوَّر كعكة تكون بحجم الحزن العراقي ! وكم كان حزننا كبيراً ))**[٣١] فلا تأبه السلطة بمعاناة الشعب بقدر ما تسعى إلى تنفيذ سياستها الذاكرية في المرحلة الأكثر فقداناً لقاعدتها الجماهيرية التي تُنذِر بالتهديد في ساحة الفضاء العام وهي في كل ذلك ترمي إلى إحكام هيمنتها عليه ، ويمكن ملاحظة ذلك ، عن طريق ظهور النسبة الأقصى للنجاح في الانتخابات الرئاسية بوصفها الهدف الأساس من برنامج أهداف السلطة الكامن وراء الرغبة في سيطرتها على الفضاء العام ، تقول الراوية في رواية ( **غايب** ) : **(( يكاد جهاز التلفزيون يهتز من صوت التصفيق المنبعث منه بعد ظهور نتائج الانتخابات ، يحظى الرئيس هذه المرة بكل الأصوات والنتيجة مائة بالمائة ، وراحت خالتي تهلوس : "تصفيق ، تصفيق ،القردة تصفِّق ، كلاب البحر تصفِّق ، وأول حركة يقلِّدها الصغار هي التصفيق!" بدأ بعد ذلك برنامج عن توقُّع خراب بعض أنظمة الكومبيوتر في أوروبا مع حلول عام ٢٠٠٠ ))**[٣٢] فهذه النسبة المطلقة بوصفها خطاب يختزل التعدد الفكري والآيديولوجي فهو يكشف عن هيمنة واضحة على

الفضاء العام المشترك التي لا تتمُّ إلَّا عبر أساليب الترهيب وقمع الحريَّات والذاكرات والأفكار[٣٣]، الممارَسة من السلطة على الفضاء العام والتي هيَّأت الطريق لها في إطلاق مثل هذا الخطاب .

## المبحث الثاني
## أفعال التذكُّر في الرواية العراقية والمقولات المزيَّفة

يمكن القول بأنَّ علاقة السلطة بالذاكرة هي علاقة براغماتيَّة ، أي تستمد السلطة من الذاكرة ما يتناسب مع مصالحها عبر ممارسة أفعال التذكُّر، وإنشاء أساطيرها التأصيليَّة الخاصة بها ، ومن ثمَّ تأسيس ذاكرة رسميَّة قائمة على الوظيفة الانتقائية كما يسميها بول ريكور ومن ثمَّ التهميش والمحو للذاكرات الفرعيَّة داخل الجماعة متعدِّدة الثقافات ، فنجد رواية ( **فهرس** )* للروائي ( سنان أنطوان ) اشتغلت على ما يمكن أن نسميه "الذاكرة الافتراضيَّة" أو "ذاكرة المُستَنْطَق" التي تَّم لنا عن طريقها رصد ممارسات السلطة ومواقفها من الذاكرة تلاعباً وتهميشاً وإقصاءاً ، ونقصد بالذاكرة الافتراضيَّة هنا ؛ هي ذاكرة الأشياء بما تشتمل عليه من كائنات حيَّة غير عاقلة أو جمادات ، يتكشَّف خزينها عن طريق استنطاقها ، والاستنطاق هو الثيمة التي قام عليها النص ، فيتحدَّث أحد الرواة – بوصفها تشتمل على نصَّين لكلٍّ منهما راوٍ – في مسودَّة المخطوطة عن كيفيَّة صناعة الذاكرة الرسميَّة و فعل التزييف الذي لا تخلو ممارسته عن وقوع الذاكرة ضحيَّة أُخرى – إلى جانب المهمَّش – في الخفاء ، مستعيراً في مستهل النص المَثَل الأفريقي القائل : **(( سيظل تاريخ الصيد يُمَجِّد الصيَّادين حتى يجئ اليوم الذي يكون فيه للأُسُود مؤرِّخون ))**[٣٤] نجد في هذه الاستعارة ثنائيَّةً طرفها الثالث خفيّ ، وهو ما نحدِّده بما عبَّر عنه بـ"ضحيَّة الضحيَّة" حين يقول : **(( فالمنتصر هو مَنْ يُدوِّن التاريخ دائماً ، وعندما يأتي من يريد أن يُراجِع ويُشْكل ويُغيِّر سيكون الأوان قد فات ، لكن ماذا عن تاريخ الضحيَّة ؟ بل ضحيَّة الضحيَّة وهذا ما يهمنّي ))**[٣٥] فهناك الصيّاد/ المُنتصر ، والأسد/ الضحيَّة الأولى – المُهمَّش ، ثمَّ ضحيَّة الضحيَّة كما عبَّر عنها لاحقاً بـ( الغزال ) ، وإذا كان ما يهمُّه ضحيَّة الضحيَّة فهو لا يمكنه كشف زيف الصيَّاد إلَّا باستنطاقها ، فتشتغل جزئيَّة النص هنا على الذاكرة بوصفها ضحيَّة الضحيَّة القائمة ضمنياً بينهما كونها الأساس الذي يتحقَّق عن طريقه وجودهما ، التي ذهبت ضحيَّة التزييف ، إذ إنَّ خلق حاضر مزيَّف لا يمكن إلَّا بتزييف الماضي عبر انتقاء ما يتفِّق و

مصالح السلطة ، لذلك هو يحلم بتغيير هذا الماضي المُتلاعَب به ، يقول : **(( هناك من يكتب ليُغيّر الحاضر أو المستقبل ، أمَّا أنا فأحلم بتغيير الماضي ، هذا منطقي ومنطق فهرسي ))**[٣٦] أي إنَّه يَعدّ الحاضر المزيَّف لا يمكن أن يستقيم أو ينكشف إلَّا بكشف الزيف الذي تمَّ إيقاعه على الماضي فكان أن أنتج ذاكرة متلاعب بها . وسبب التلاعب بالذاكرة عائد بالأساس إلى علاقة الذاكرة بالهُويَّة ورغبة السلطة بالضرورة في بنائها ، إذ أنَّ صعوبة علاقة الهُويَّة بالزمن تدفع نحو اللجوء إلى الذاكرة بوصفها عنصر زمني مكوِّن للهويَّة ، فتدخل الذاكرة ضمن تكوينها عبر وظيفتيها السرديَّة والانتقائية ، الوظيفتان اللتان عن طريقهما يمكن التلاعب بالذاكرة بعد أدلجتها بغية تحقيق ظاهرة الاندماج في المجموعة بتدعيم من الوسائط الرمزية باعتبار قيمتها الدلالية التي ينتفي بوجودها إمكانية النقد ، إذ إنَّ هدف الآيديولوجيا هو إضفاء الشرعيَّة على أنظمة السلطة وممارساتها[٣٧]، لذلك فهو يركِّز على ضحيَّة الضحيَّة التي باستنطاقها تتكشَّف مواطن التلاعب بالذاكرة ومن ثمَّ الحاضر ، فنجد في المخطوطة التي بعنوان ( منطق الزوراء ) يحاول من خلالها كشف زيف مقولة "أشعار الخلفاء" تلك المقولة أو فعل التذكُّر الذي حاول الخلفاء عن طريقه تدعيم وجودهم في حكم رعيَّة تحتفي بالشعر والشعراء والأدب عموماً ، وحاولوا أيضاً منافسة الشاعر وجوداً أو مكانةً إذ إنَّ المكانة المرموقة التي يحتلَّها الشاعر في أُمَّةٍ تُقدِّس الشعر وقائليه تضع الشاعر موضع منافسة للخليفة أو هكذا يعتقد على الأقل ، ممَّا يدفعه لصناعة تاريخ شعري يخاطب به ذاكرة الرعيَّة ويؤسس هُويَّة وذاكرة رسميَّة تنطوي على ذلك التاريخ ، تاريخ "الخليفة الشاعر" ، والجدير ببيئة الشعر والشعراء ، ونستدل على ذلك عبر استنطاق المؤلِّف لـ(الورقة) التي كُتِبَ عليها قصيدة من شاعر مجهول باعها للخليفة على أنَّها تأليفه هو ، تقول الورقة : **((طواني ثمَّ قبَّلني واحتضنني في سريره ونام وهو يبكي ، في الصباح التالي غطَّاني بقماشة وتأبَّطني وخرج بي إلى المدينة ... دخل قصراً وسلَّمني إلى رجل ... حملني إلى من أسماه "مولاي" قلَّبني مولاه الذي أصبح مولاي لدقائق وأثنى على محاسني ... ثم سأل سيدي :"هل هي الوحيدة" "نعم يا مولاي" "وإن أرسلنا الجُنْد إلى بيتك لن يعثروا على نسخة أخرى " "كلا يا مولاي" رمى إليه بصُرَّةٍ وأمرَه بالانصراف ... توارثني أحفاده وأحفاد من قتلوهم وتناقلتني الأيدي ووضعت مع الأخريات في أقبية مظلمة معظمهن سُبينَ وأُحرِقْنَ وأُلقينَ في النهر ... حتى جاء اليوم الذي اهتزت فيه الأرض ... تناهي إلى سمعي فحيح النيران وهي تلتهم جاراتي وتسعى نحوي ... وقبل أن أذرف دمعة شهقت شهقة ألف عام ورأيتني أتصاعد غمامة من دخان في سماء بغداد**

))[٣٨] هذه الورقة حكت لنا حكاية الذاكرة المُتَلاعَب بها ؛ ضحيَّة الضحيَّة/ الذاكرة وهو (تلاعب مقصود للذاكرة وللنسيان يقوم به من يملكون السلطة )[٣٩] ، فقد هَمُشِّتْ الذاكرة وأُدغِمَتْ في ذاكرة مصطنعة رسميَّة . فالذاكرة في أحد أشكالها هي الكتابة ، الفكر ، الأدب وشتى أنواع المعارف ، لذلك يرى بورخيس الكتاب شأناً مختلفاً عن سواه ، فسائر الأشياء هي امتداد لأعضاء جسم الإنسان ، أمَّا الكتاب فهو امتداد الذاكرة ، إذ أنَّ العلاقة بين الكتابة والذاكرة علاقة تكوينيَّة جدليَّة فإذا كانت الكتابة تقدِّم المعرفة مستمدة من مخزون الذاكرة فإنَّها تشكلِّ الذاكرة مُدوَّنةً ، ليس فقط بما تتضمَّنه الكتابة من وظيفة حفظ وأرشفة بوصفها فاعليَّة من فاعليَّات الذاكرة [٤٠] ، إنَّما لأنَّ الكتابة الإبداعيَّة هي الأُخرى تنهل من ذلك المورد ، وبذلك فهي لا تستمد وجودها من الذاكرة فحسب إنَّما تمثِّلها في الوقت نفسه ، وبذا فإنَّ الإبداع الأدبي الذي استمدَّ عناصر تشكُّله من الذاكرة ، يُشكِّل بدوره رمزيَّة في ذاكرة الجماعة فتمارس السلطة – هنا الخليفة – خطابها الذاكري بهدف تدعيم الهيمنة عبر خلق الرأسمال الرمزي لها بما يتفق ورمزيّة الشعر في ذاكرة الرعيَّة، إلَّا أنَّ التهميش الذي طال ذاكرة الجماعة لم يتوقَّف عند مصادرة نتاج هذا الشاعر أو ذاك سلوكاً تعاقب عليه أولاد وأحفاد الخليفة فحسب إنَّما في ما تمثَّل أيضاً في فعل إحراق الكتب كلَّها،تقول الورقة:**(( فحيح النيران وهي تلتهم جاراتي وتسعى نحوي ))**[٤١] فإذا كان الكتاب مجرد حامل فإنَّ ( المحمول في حالات الاعتداء على الكتاب هو المُستَهدَف في المقام الأوَّل ، لذلك يعسر فك الارتباط بين إتلاف مادِّيَّة الكتاب وإتلاف ذاكرة المعرفة )[٤٢] المساحة الأكبر من ذاكرة الجماعة ، إذ أنّ السلطة لا تتوقَّف رغبتها في محو الذاكرة عبر ممارسة أفعال التذكُّر عن طريق أسلوب صناعة الرأسمال الرمزي ، إنَّما هناك أساليب أخرى تتعدَّى ذلك نحو آليات الإتلاف التي تحدث في الغالب في حالات الاعتداءات والاحتلال . وهناك من يرجِّح إنَّ مثل هذا الأسلوب في المزاج العربي ينتمي إلى أصل يعود للفترة التي سبقت الإسلام متمثِّلاً بالموقف الرافض للكتابة لحساب الحفظ والرواية ، فالعرب اشتهرت بالحفظ أساساً ودافعاً نحو إتلاف المكتوب في حال تعارضه مع المُتَّفق عليه روايةً [٤٣]، إلى جانب غيرها من الأسباب الأخرى ، ومع تعدُّد آليات إبادة ذاكرة الجماعة الممثَّلة بالكتاب ، فإنّ آلية الحرق هي أكثر الآليات مزاحمة لتاريخ الكتابة ومطاردة الذاكرة ، حتى تحوَّل حرق الكتب/ الذاكرة على مدى التاريخ سلوكاً معهوداً ومقبولاً ومتواتراً ، بل تحوَّل إلى حدثٍ مشهديٍّ احتفاليٍّ [٤٤] يستشعر المتسلط فيه نشوة محو ذاكرة الآخر وبداية تغليب ذاكرة جديدة خاصة به .

وقد يصل أسلوب إعادة التاريخ ومن ثمَّ التلاعب بالذاكرة أو فرضها قسراً أعلى مراحله عبر تدخُّل مباشر من رأس الهرم السلطوي ( حيث تزعَّم صدام حسين في الواقع مشروعا رسمياً سمي بمشروع إعادة كتابة التاريخ ، وتماشياً مع الأفكار الغرامشية حول الهيمنة )[٤٥] أي تلك القائمة على مفهوم الزعامة الفكرية والأخلاقية ، عبر ما رصدناه في رواية ( **مكنسة الجنَّة** )* التي يتحدَّث فيها الراوي رسَّام جداريات الرئيس مع مساعده ( وداد ) – الذي أحدث تلفاً في ألوان وجه الرئيس – عن عواقب ذلك الفعل ، مقارناً بالخليفة العباسي الذي لا يتردَّد عن سجن كاتب بلاطه إن أخفق في عمله : **(( إنَّ الأمر يتطلَّب مهارة كاتب عبَّاسي مكبَّل في سجن رطب تحت الأرض .. " وهل حياة مأبون مثلك ، أهم من تدوين سورة التوحيد لدى خليفة!"))**[٤٦] أي أن الكاتب في العصر العباسي إن أخطأ في تدوين سور القرآن فأنَّه يتلقَّى العقاب من الخليفة ، و ( وداد ) أخفق في ألوان الوجه ، فتكمن المفارقة في المقارنة بين مكانة سورة التوحيد وبين جداريَّة وجه الرئيس بوصفها بارود يا نصيَّة تتكشَّف عن طريقها المديات التي بدأت تأخذها الجداريَّات وعن حالة التماهي بين الجداريَّة وشخص الرئيس الذي اندفع للقصاص من المُسيء كما يفعل الخليفة العباسي مع من يخفق بكتابة القرآن ، فضلاً عن كونها محاكاة للواقع فلطالما تماهى صدام حسين مع فضاءات العصر العباسي وشخصياته . فقد صاغت السلطة "المجتمع المتخيَّل" خاصَّتها اعتماداً على المخيال التاريخي أكثر من الاعتماد على الصياغة الآيديولوجيَّة لمخططات دولة– الأمة المعاصرة ، ويُركِّز هذا المخيال في الغالب على العصر الذهبي للعرب إبان الإمبراطورية العباسية [٤٧] ، وما يؤكد ذلك هو ما حدث تزامناً من مصادفة عبَّر عنها الراوي قائلاً : **(( فصعقتني تلك المصادفة التي لم يشعر بها وداد نفسه ، كان الرئيس قد أصدر قبل أقل من عام روايته "زبيبة والملك" وقد أُجْبِرتُ على شرائها من قبل الفرقة الحزبيَّة ... واشتريتها مرَّةً أُخرى مع جريدتين بعد أن صَوَّبَ إليَّ بائع صحف أعرج نظرة مستفزَّة ))**[٤٨] رواية ( زبيبة والملك )* بما تحمله من مضامين فكر السلطة وأفكار صدام حسين الشخصيَّة فهو يحاول بكل ما أُحيط به من كاريزما وما تحمل شخصيَّته من تضخيم قامت به البروباغاندا على مرِّ السنوات أن يتلاعب بالذاكرة عن طريق تقديم آيديولوجيته ، ومنظومة المفاهيم القيميَّة خاصَّته للجماعة بأسلوب فنِّي عاطفي : الأدب الروائي الفاعل في الإبلاغ والتأثير بوصفها محاولة تبرير خفيَّة لممارسات وإخفاقات النظام ومحاولة هيمنة عن طريق زعامة فكرية أخلاقية ، وعبر فرض قسري للرواية على الأفراد وهو فعل تذكُّر نحو شخصيَّات الملوك والخلفاء وقيمهم وممارساتهم الراسخة في ذاكرة الجماعة

؛ مُشتَرَكاً يستند عليه الفكر القومي ، ولم تكن القصدية تقتصر على ذلك الإيحاء بالتماثل بين عظمة الماضي وبين مجد مُفترض للعراق في ظل حكم البعث بل قصد أيضاً غاية مهمة أخرى هي بحسب "إريك دافيس" ( أن يشجع على انعدام الثقة بين إثنيات العراق الأساسية ، فإحدى استراتيجيات إنجاز الغاية ... تتمثَّل في إثارة الجدل على نحو غير مباشر بأنَّ "الشعوبيين" وهم الشيعة الفرس المستعربون الذين كانوا يشكِّلون لب البيروقراطيَّة العباسيَّة ، قد عملوا على نخر الامبراطورية من الداخل متسببين بانهيارها ... حيث كانت رسالة النظام إلى الأقلِّية العربية السُنِّية في العراق تتمثَّل في أن الشيعة الذين كانوا مزدوجي الولاء وليسوا محل ثقة في ظل الدولة العباسية ، لايزالون أيضاً محل شك في الحقبة المعاصرة )[٤٩] فضلاً عن رسالة أخرى موجهة للشيعة تتمثَّل ( في أنه ليس أمامهم سوى التبرؤ من تراثهم الثقافي لكي يصبح بإمكانهم أن يتمتعوا بالمزايا التي تمنحها الدولة )[٥٠]، فكان بعض الأفراد على وعي بهذا الأسلوب بوصفه خطاب لإنتاج القطيع إذ يقول الراوي عن مآل نُسْخَتَي الرواية التي لم يقرأها أبداً وصورة الرئيس بوصفها الوجود المادي البديل له وهما مركونتان في الغرفة : **(( صورة الرئيس ... مع نسختين من روايته دلت عليهما حزمة ضوء الشمس التي يسددها ثقب الباب تقعان فوق كتاب الحيوان للجاحظ ، وحياة الحيوان للدميري ورزمة خرائط أو مسودة لخرائط لم تكن لتثير اهتمامي ))**[٥١] إذ لا يمكن حيازة الاهتمام قسراً ، ولا يتوقف الأمر عند ذلك إنَّما هو محاولة إنتاج خطاب ثقافي مهيمن في الوقت نفسه أي محاولة تحقيق الهيمنة على الفضاء العام ومن ثمَّ الهيمنة على آلية أفعال التذكر داخل ذلك الفضاء وهي الممارسة التي لم تغفل عن تقديمها الرواية سواء ضمناً مثل الحديث عن رواية زبيبة والملك أو بصورة مباشرة مثل حديث الراوي في رواية ( **باطن الجحيم** )* للروائي ( سلام ابراهيم ) عن رغبة السلطة في سيادة فكرها القومي العربي : **(( ففي زمن الطاغية ... عاش العراقي مُتَّهماً يخشى ظلَّه ويحاذر من أقرب البشر إليه بعدما أُجبِرَ على توقيع مادة -٢٠٠- القاضية بإعدامه لو أكتشِفَ أنه يعمل مع حزب أو حركة تناهض السلطة ))**[٥٢] فلا يتوفر في قاموس السلطة مفاهيم "النقاش الحر" و "قبول الآخر" وغيرها من معايير التواصل في مجتمع التعددية واختلاف المرجعيات الثقافية[٥٣]، إذ ( تتأسس أخلاقيات التذكُّر على فكرة مزعجة ، إلَّا أنها ضرورية ، وهي أن هناك أكثر من ذاكرة ، وأكثر من طريقة للتذكُّر ، ممَّا يعني أن فعل التذكُّر يتأسس في الفضاء العام على حرية المناقشة وتبادل الحجج والآراء )[٥٤] أي وفق المنهج العقلي النقدي الذي لا تكمن قيمته في إثبات حقيقة ما ، إنَّما في حقيقة أنَّ المشتركين في الجدل

سيُغيّرون آراءهم بعض الشيء – لاختلاف مرجعياتهم الثقافية – في حال توفُّر استعداد برغبة حقيقية في فهم ما يرمي إليه زميله ، إذ أنَّ قيمة أي جدل تعتمد على نوع الرؤى المتنافسة[٥٥] ، وهو ما عبَّر عنه "يورغن هابرماس" بـ ( حالة الخطاب المثالي ) – بوصفها أهم إسهاماته في تحقيق أخلاقيات التواصل داخل الفضاء العام – ويقصد بهذه الحالة هي تعبير عن النديَّة بمعنى التناظر بين شركاء حوار ما ، والنديَّة بحسب هابرماس هي تعبير عن إمكانية السلام ، وهي رمز للالتزام بحوار عقلاني أي التزام التعامل على وفق أنَّهما "ذوات" تتمتَّع بحريَّتها بالتساوي ، وليس باعتبارهما "أشياء" ، إذ إنَّ التعامل مع الناس على أنهم ذوات لهو انخراط بالفعل "التواصلي" وهو النموذج الذي يسمى غالباً بـ "البين– ذاتية" Inter–subjectivty ، أي التعامل مع العلاقات الاجتماعية وفق النموذج الذي يصف تفاعل الممثِّلين والوسطاء الأحرار والمستقلِّين ؛ أي إقناع الآخرين أن يسلكوا طريق استخدام الحجج التي يمكن أن يقبلها الآخر أو يرفضها بحريَّة واستقلال [٥٦] ، بما يشكِّل حالة الخطاب المثالي القائم على سمة التواصليَّة في فضاء التعدديَّة الثقافية الذي يكتسب فيه فعل التذكُّر حقَّه من الحريَّة أي الذي تكون فيه ( القوة الوحيدة المقبولة هي قوَّة الحُجَّة الأفضل : حيث يبحث المرء عن اتفاق عقلاني ، ولا يبحث عن مجرَّد نتيجة )[٥٧] مثلما هو خطاب الفعل "الاستراتيجي" الذي يكون الانخراط فيه عند التعامل مع الناس باعتبارهم "أشياء" لا "ذوات" ، بوصفه فعل موجَّه نحو هدف معيَّن ، أي أنَّه تعامل مع العلاقات الاجتماعية طبقاً لنماذج السبب والنتيجة ، وهو السعي إلى التحكُّم بالآخرين عبر استخدام أفعالهم بوصفها سبباً يؤدي إلى أفعالهم بوصفها نتيجة وبهذا يكتسي العنف المستبطن فيه سمة العقلانية فهو سعي نحو النتيجة وليس الاتفاق[٥٨] ، فالعنف الذي يتضمَّنه فعل سلطة النظام العراقي – في النص – بدا مكتسياً طابع العقلانية ممثَّلاً بتوقيع مادة قانونية تقضي بالإقصاء الفكري والثقافي بوصفها تقييد فعل التذكُّر أو عقوبة الإعدام لمن يخالف فـ( عندما يحتكم الدكتاتوريون اليوم إلى العقل ، فهم يقصدون أنهم يمتلكون معظم مراكز القوَّة ، وأنهم كانوا عقلانيين بما فيه الكفاية في بنائها ، ويتوجب على الآخرين أن يكونوا عقلانيين بما يكفي للامتثال لها )[٥٩] أي أن السلطة في هذا النص تمارس العنف برداء العقلانية عبر الفعل "الاستراتيجي" لا "الفعل التواصلي" ومن ثمَّ تقييد فعل التذكر في الفضاء العام من أجل بناء هويَّة رسميَّة قائمة على فكرها القومي الأوحد ، دونما اعتبار للجدل الحر والفضاء المثالي لأنَّ ( تأسيس أخلاقيات التذكُّر على ما يسميه هابرماس بأخلاقيات المناقشة يتطلَّب أوَّلاً وجود فضاء عام نموذجي للتذكُّر ، فضاء متحرر من القوَّة وعلاقات الهيمنة

ومستلزماتها ، ويتطلَّب ثانياً وجود فاعلين سياسيين واجتماعيين ... لديهم استعداد لأن ينخرطوا في سياق التذكر بقصد التواصل والتعايش )[٦٠] وبتوفر النموذج المثالي هذا لأفعال التذكُّر تتحقق مشروعيَّته الممثَّلة بـ ( صلاحيَّته في تعزيز فعل التواصل من جهة ، وقدرته على دفع الضرر العام والعواقب السلبية المترتّبة على استعمال الذاكرة بعيداً عن أخلاقيات تنبذ ممارسة التذكُّر في سياقات المناورة والتلاعب والهيمنة والإقصاء والتهميش والإخضاع ، والتي يجري تجسيدها في صورة العنف السياسي المتبادل الذي يهدد السلم العام داخل الدولة )[٦١] من هنا يمكن تحديد عدم مشروعية فعل التذكُّر في الفضاء العراقي العام ذلك لعدم صلاحيته في تعزيز فعل التواصل ، وعدم قدرته على دفع الضرر العام بسبب عدم تحقق الشرط الأساس وهو ( إنَّ على الدولة أن تنسحب وتتخلَّى عن الانخراط في أفعال التذكُّر داخل الفضاء العام لأنَّ انخراط الدولة يعني اختلال التكافؤ بين المشاركين ، ولأنَّ حضور الدولة يعني حضور علاقات القوَّة والتراتبيَّة ، الأمر الذي يقوِّض ما يُطالب به هابرماس من مبادئ أخلاقيَّة ينبغي أن تكون مُتَّبعة بين المنخرطين المشاركين في أفعال المناقشة)[٦٢] عبَّرت الرواية عن أن السلطة العراقية ما دامت تسعى إلى سيادة فكرها القومي داخل الفضاء العام أي تقييد الحريَّات الثقافية والفكرية ، ومشاريع مثل إعادة كتابة التاريخ ، وبناء هوية رسمية موحدة ذات طابع قومي ، فأنَّها لن تتخلَّى عن فعل التذكُّر الأداة الرئيسة في إنجاز هذه السياسيات التي كشف عنها المتخيَّل الروائي في النصوص التي عرضت لأحداث القمع والاقصاء والعنف في المجتمع العراقي .

**الخاتمة**

رصد البحث الآلية الأهم – عند السلطة في الغالب – في التعامل مع الذاكرة ممثَّلة بـ"فعل التذكُّر" في النص الروائي العراقي ، وبعد الاستقصاء خلص البحث :

- عرضت الرواية قضايا الذاكرة وأساليب استهدافها من السلطة عن طريق سرد فني مزج الواقع بالمتخيل باستعمال عناصرها الفنية من شخصيات وأحداث وأساليب التقاطع الزمني بين الماضي والحاضر .
- يضعنا المتخيَّل الروائي إلى أن فعل التذكُّر ممارسة سلطوية تكاد تكون خفية على المجتمع بوصفها تشتغل على الرموز المهمة والمؤثرة في ذاكرة وحياة الجماعة عن طريق رصد ممارسات السلطة في خلال سرد الحدث .
- التوظيف السلطوي لفعل التذكر يحدِّده بأنه ممارسة قصدية يستعمل وسيلة للتمويه على انتهاكاتها وممارساتها اللاإنسانية لذلك فهو حاضر سياسة ذاكرية ضمن نظام السياسة الداخلية للسلطات الشمولية وضمن النظام النصِّي بما بدت نصوص ذاكرة تستحضر ماضي الجماعة ومدى علاقته بمستقبلها وتأثيره الظاهر في حياة الشخصيات والمجتمع عامة .
- لم تقدم معظم النصوص – نماذج البحث – فعل التذكر بمسماه وفاعليته القصدية إنَّما كان تقديمه في خلال عرض قضايا المجتمع والسلطة تلك الثنائية الإشكالية في تاريخ المجتمع العراقي .

**الهوامش**

* الأساطير التأسيسية ؛ هي مجموعة الرؤى التي تتشكَّل عبر إعادة إنتاج أحداث الماضي المتفرِّقة وفق آليَّات محدَّدة بما يحقق لهذه الجماعة وعياً بذاتها ومن ثمَّ وجوداً وهويَّة ، مراجعة مذكرات دولة – السياسة والتاريخ والهوية الجماعية في العراق الحديث / إريك دافيس ، تر: حاتم عبد الهادي ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر – بيروت ( ط١ ) ٢٠٠٨ : ١٢: .

[١] ينظر: مذكرات دولة – السياسة والتاريخ والهوية الجماعية في العراق الحديث / إريك دافيس : ١٢ .

[٢] ينظر: إدوارد سعيد : الهجنة ، السرد ، الفضاء الإمبراطوري / مجموعة من الأكاديميين العرب ، تحرير وإشراف : د.إسماعيل مهنانة ، ابن النديم للنشر والتوزيع – الجزائر ( ط١ ) ٢٠١٣ : ٣٧ – ٣٨ .

[٣] ينظر : الذاكرة الحضارية – الكتابة والذكرى والهوية في الحضارات الكبرى الأولى / يان أسمن ، ترجمة ومراجعة : عبدالحليم عبدالغني رجب ، الهيئة المصرية العامة للكتاب – القاهرة ( د.ط ) ٢٠١٣ : ٣٠ .

[٤] نفسه : ٣٠ .

[٥] الذاكرة التاريخ النسيان / بول ريكور ، ترجمة وتقديم : د.جورج زيناتي ، دار الكتاب الجديد المتحدة – بيروت (ط١) ٢٠٠٩ : ٣١ .

[٦] الأمل والذاكرة خلاصة القرن العشرين/ تزفيتان تودوروف ، تر: نرمين عبدالله العمري ، مكتبة العبيكان – الرياض (ط١) ٢٠٠٦ : ١٥٧ .

[٧] ينظر : إدوارد سعيد : الهجنة ، السرد ، الفضاء الإمبراطوري / مجموعة من الأكاديميين العرب : ٣٨ .

[٨] ينظر : استعمالات الذاكرة في مجتمع تعددي مبتلى بالتاريخ / د.نادر كاظم ، مكتبة فخراوي– البحرين ( ط.١) ٢٠٠٨ : ١١–١٢ .

[٩] ينظر: هابرماس بين مابعد الحداثة وما بعدها / أماني أبو رحمة ، دراسة في ٢٠١٧/٣/٩ ، مدونة إلكترونية ، وينظر: هابرماس واللاهوت / نيكولاس آدامز ، تر: حمّود حمُّود و شهيرة شرف ، جداول للنشر والترجمة والتوزيع – بيروت ( ط١ ) ٢٠١٦ : ٧–٨ .

[١٠] استعمالات الذاكرة في مجتمع تعددي مبتلى بالتاريخ / د.نادر كاظم : ١٢ .

[١١] استعمالات الذاكرة في مجتمع تعدُّدي مبتلى بالتاريخ / د.نادر كاظم : ١٨ .

[١٢] صنع السياسات العامة / جيمس أندرسون ، تر: د. عامر الكبيسي ، دار المسيرة للنشر والتوزيع والطباعة – عمّان ( د.ت ) ( د.ط ) : ١٥.

[١٣] صنع السياسات العامة / جيمس أندرسون : ١٥.

[١٤] ينظر: مدخل إلى تحليل السياسات العامة / د. أحمد مصطفى الحسيني ، المركز العلمي للدراسات السياسية – الأردن (ط١) ٢٠٠٢ : ٩-١٠.

[١٥] صنع السياسات العامة / جيمس أندرسون :

[١٦] ميشال فوكو المعرفة والسلطة / عبد العزيز العيادي : ٣٤ .

[١٧] نفسه : ٣٤-٣٥ .

[١٨] مذكرات دولة – السياسة والتاريخ والهوية الجماعية / إريك دافيس : ٣٥ .

[*] نص قائم على تقنية الارتداد ؛ حيث كشف النص عن النهاية في الاستهلال وهو موت شخصيات النص الرئيسة ؛ عيسى ومنير إلَّا الراوي فهو الناجي الوحيد من حرب الثمانينيات التي قضى فيها جميع من تذكَّرهم ، فيعرض النص قضايا المثقَّف، وأحوال بغداد والحرب كاشفاً عن مسرح من التناقضات التي اكتنفتها ثلاثيَّة ؛ الدكتاتورية والحرب والمثقَّف عبر أسلوب الاسترجاع .

[١٩] مذكرات دولة – السياسة والتاريخ والهوية الجماعية / إريك دافيس : ٣٥ .

[٢٠] أساتذة الوهم / علي بدر ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر – بيروت ( ط١ ) ٢٠١١ : ٨٦ .

[٢١] نفسه : ٩٤ .

[٢٢] أساتذة الوهم / علي بدر : ٧٢-٧٣ .

[٢٣] فوكو صحافياً – أقوال وكتابات / تر: البكَّاي ولد عبد المالك ، جداول للنشر والتوزيع – بيروت ( ط١ ) ٢٠١٢ : ١٨ .

[٢٤] للاستزادة ، العودة إلى : المراقبة والمعاقبة – ولادة السجن / ميشيل فوكو ، تر: علي مقلد ، مراجعة وتقديم : مطاع صفدي ، مركز الإنماء القومي – بيروت ( د.ط ) ١٩٩٠ : ٥٠-٥١ .

[٢٥] أساتذة الوهم / علي بدر : ٩٧ – ٩٨ .

[٢٦] استعمالات الذاكرة في مجتمع تعددي مبتلى بالتاريخ / د.نادر كاظم : ١٤ – ١٥ .

[٢٧] أساتذة الوهم / علي بدر : ٩٨ .

[٢٨] نفسه : ٧٣ .

[*] الشخصية الرئيسة في النص هي الراوي ( مبدر داغر ) الذي أزمع الرحيل هرباً من سوء الأوضاع في مرحلة التسعينيات أي مرحلة الحصار الاقتصادي على البلاد ، فكانت بغداد – محطة انطلاقه نحو عمَّان – مكان ذاكري له ، إذ في لحظة استرجاع : النهارات الصيفية منذ سنين طويلة ...اعتدنا التوجه نحو المعارض الفنية والملحقيات الثقافية : معارض الرواق والفن الحديث ... ندخل المركز الثقافي البريطاني ... ثم من

هناك نلج شارع أبي نؤاس حيث المركز الثقافي السوفيتي ... نخرج بعد جولة وحوار فرحين بما حصلنا من أشعار لبوشكين وروايات لشولوخوف وجنكيز اتماتوف ، وإجابات عن كيفية الحصول على تدوينات دستوفسكي وتولستوي .

[٢٩] فراسخ لآهات تنتظر / زيد الشهيد ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر – بيروت ( ط١ ) ٢٠١٣ : ٢٥ .

* يعرض هذا النص الصادر عام ٢٠٠٤ ، ممارسات سلطة نظام البعث تحديداً مرحلة التسعينيات أي مرحلة فرض الحصار الاقتصادي على العراق ، وما طرأ على المجتمع من ظواهر طالما ترافق المجتمعات جرَّاء الأزمات السياسية مثل ؛ انتشار الشعوذة والعرَّافات ، وحالات النصب والاحتيال ، وتردّي الخدمات في جميع مرافق البلاد ، وسياسة الجاسوسية التي مارستها السلطة بين أفراد المجتمع وما يتخلَّف عنها من تداعيات ، كان ذلك عبر سرد اجتماعي للشخصية الرئيسة في النص وراوية الأحداث ( دلال ) اليتيمة التي عاشت في كنف خالتها و زوجها ، والتي تعذَّر عليها نتيجة ظروف الحصار إجراء عملية تجميل كانت بحاجة لها ممَّا ترك ذلك أثراً ظاهراً وعميقاً في نفسها .

[٣٠] غايب / بتول الخضيري ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر – بيروت ( ط٤ )٢٠٠٩ : ٣٣ .

* يمكن القول أن هذا النص ينتمي إلى السرد النسوي ، إذ تتحدَّث الراوية والشخصية الرئيسة في النص ( تيجان ) عن معاناة المرأة جرَّاء الرؤى الذكورية السائدة في المجتمع ، والنص ينتمي زمانياً إلى مرحلة الدخول الأميركي إلى العراق في العام ٢٠٠٣ .

[٣١] الصندوق الأسود / كليزار أنور ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر – بيروت ( ط١ ) ٢٠١٠ : ٩٤ –٩٥ .

[٣٢] غايب / بتول الخضيري : ٢٥٨ .

[٣٣] ترد مثل هذه الممارسة في رواية ( ما بعد الحب ) للروائية ( هدية حسين ) التي تعرض أحداث حياة ( هدى ) في منفاها في حقبة التسعينيات بعد أن هاجرت هرباً من بطش السلطة أثر قيامها بكتابة ( لا ) في استمارة الانتخابات الرئاسية .

* ( نمير ) الشخصية الرئيسة في النص و راوي الأحداث الأساس ، يعيش في أميركا أستاذاً وطالباً يتعرَّف على ( ودود عبد الكريم ) الذي أرسل له مخطوطة كتاب بصدد تأليفه ، لذلك يظهر التناوب الزمني في النص بين زمن الراوي ، وزمن المخطوطة القائمة على فكرة استنطاق الأشياء والجمادات وعلى وفق ذلك فهي مخطوطة بحث في المسكوت عنه ومن ثمَّ الذاكرات المُهمَلة أو التي طواها النسيان بفعل سلطة ما ، والتي عبَّر عنها الروائي بفكرة الاستنطاق أو يمكن أن نعدَّها ما عبَّر عنه بـ ( ضحيَّة الضحيَّة ) الطرف

الثالث بين الثنائيات غير المنظور والقائم ضمنياً ، ويقسم النص على مجموعة عناوين داخليَّة تبدأ بـ (منطق الطير) ثم تتوالى العناوين المماثلة بعدها ؛ (منطق الخليفة) و ( منطق الزوراء) وغيرها .

[٣٤] فهرس / سنان أنطوان : ٢٣ .

[٣٥] نفسه : ٢٤.

[٣٦] نفسه : ٢٦.

[٣٧] ينظر بتوسع : الذاكرة ، التاريخ ، النسيان / بول ريكور : ١٣٦– ١٣٧ و ١٤٠–١٤١– ١٤٢–١٤٣ .

[٣٨] فهرس / سنان أنطوان : ٣٨ .

[٣٩] الذاكرة ، التاريخ ، النسيان / بول ريكور : ١٣٦ .

[٤٠] ينظر : محارق الكتاب – بحث في استهداف الذاكرة / علي صالح مولى ، مجلة الكوفة ، رئيس التحرير : حسن ناظم ، وعباس كاظم ، التنوير للطباعة والنشر والتوزيع العدد (١) ٢٠١٤ : ٥٥–٥٦ .

[٤١] فهرس / سنان أنطوان : ٣٨ .

[٤٢] محارق الكتاب ، بحث في استهداف الذاكرة / علي صالح مولى : ٥٧–٥٨.

[٤٣] ينظر : حرق الكتب في التراث العربي / ناصر الحزيمي ، منشورات الجمل – لندن ( د.ط ) ( د.ت ) : ١١–١٢ و ١٧.

[٤٤] ينظر : محارق الكتاب – بحث في استهداف الذاكرة / علي صالح مولى : ٥٦ .

[٤٥] مذكرات الدولة – السياسة والتاريخ والهوية الجماعية / إريك دافيس : ٧–٨ .

[*] يكشف النص عن استخفاف السلطة بالقيمة الإنسانية للجماعة ، ممثَّلة بشخصيَّة الراوي بعد أن تحوَّل إلى رقم ضمن قائمة أسماء مجموعة من الرسَّامين الذين أعدمتهم سلطة نظام البعث ، وفيما بعد تمَّ اكتشاف رفاتهم من فرقة من الجنود الدنماركيين في البصرة بمعيَّة المترجم ( مدين ) الذي دفعته الحيرة للبحث في لغز الإسم الثالث عشر في القائمة والذي لم يتمّ العثور على رفاته دوناً عن أقرانه .

[٤٦] مكنسة الجنة / مرتضى كزار : ٥٤ .

[٤٧] ينظر : مذكرات الدولة – السياسة والتاريخ والهوية الجماعية / إريك دافيس : ١٥ .

[٤٨] مكنسة الجنة / مرتضى كزار : ٥٥ .

[*] رواية أصدرها صدام حسين منسوبة إليه عام ١٩٩٨ ، سرد قائم على مضامين اجتماعية وفكرية وسياسية يعرضها النص عبر أحاديث بين ملك وبين زبيبة المرأة صاحبة القيم والأخلاق والحكمة التي تتحدَّث معه عن الولاء والخيانة ، ويحدِّثها عن سياسة الملك الحكيم التي لابد أن تكون صارمة من أجل استتباب الأمن

وتجري الأحداث في دخول الملك معارك من أجل هذه المرأة ضد زوجها الذي كان يضمر لها السوء وفي خلال ذلك يجري الربط بين أحداث النص وأحداث الواقع العراقي في التسعينيات ومواجهاته مع أميركا وإسرائيل ومواقف الدول العربية عبر تشابه ظاهر من خلال التواريخ والأحداث .

[٤٩] مذكرات الدولة – السياسة والتاريخ والهوية الجماعية / إريك دافيس : ١٥ .

[٥٠] نفسه : ١٥ .

[٥١] مكنسة الجنة / مرتضى كزار : ٥٥ .

* سرد توثيقي لأحداث حياة الراوي الذي يخبر في العتبة الأولى إنه الروائي نفسه سلام ابراهيم ، أو هو تقديم شهادة – على حدِّ تعبيره ص٨٦ – لما شهده من أحداث الإبادة الجماعية التي تعرَّض لها أكراد العراق على يد السلطة عبر القصف بالغازات السامة في عقد الثمانينيات من القرن الماضي .

[٥٢] باطن الجحيم / سلام ابراهيم ، دار الشؤون الثقافية العامة – بغداد ( ط١ ) ٢٠١٣ : ١٠٩ .

[٥٣] وردت الإشارة لمثل ذلك في رواية ( المرآة ) للروائي ( حميد العقابي ) يقول فيها الراوي مُذكِّراً ( سامي ) الشخصية الرئيسة في النص ، الذي تعرَّض للتعذيب بسبب انتمائه إلى الحزب الشيوعي : (( وإنَّك على الرغم من توقيعك على تعهُّد التخلّي عن ماضيك ، إلَّا إنَّك في نظرهم تبقى المعارض الذي يبقى تحت المراقبة لاقتناص أيَّة شبهة تصل بك إلى حبل المشنقة )) ، المرآة / حميد العقابي ، دار ميزوبوتاميا للطباعة والنشر والتوزيع – بغداد ( ط١ ) ٢٠١٥ : ٤١ .

[٥٤] استعمالات الذاكرة في مجتمع تعددي مبتلى بالتاريخ / د.نادر كاظم : ٢٣ .

[٥٥] ينظر: بحثاً عن عالم أفضل / كارل بوبر ، تر: د.أحمد مستجير ، الهيئة المصرية العامة – مصر ( د.ط ) ١٩٩٩ : ١٩٣ ، وينظر : استعمالات الذاكرة في مجتمع تعددي مبتلى بالتاريخ / د.نادر كاظم : ٢٣ .

[٥٦] ينظر : هابرماس واللاهوت / نيكولاس آدامز : ٣٧ – ٣٨ .

[٥٧] نفسه : ٣٩ .

[٥٨] نفسه : ٣٨ – ٣٩ .

[٥٩] استعمالات الذاكرة في مجتمع تعددي مبتلى بالتاريخ / د.نادر كاظم : ٣٩ .

[٦٠] نفسه : ٢٥ .

[٦١] نفسه : ٢٥ .

[٦٢] نفسه : ٢٥ .

**المصادر**

أولاً : الروايات :

١. أساتذة الوهم / علي بدر ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر – بيروت ( ط١ ) ٢٠١١ .
٢. الصندوق الأسود / كليزار أنور ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر – بيروت ( ط١ ) ٢٠١٠ .
٣. المرآة / حميد العقابي ، دار ميزوبوتاميا للطباعة والنشر والتوزيع – بغداد ( ط١ ) ٢٠١٥ .
٤. باطن الجحيم / سلام ابراهيم ، دار الشؤون الثقافية العامة – بغداد ( ط١ ) ٢٠١٣ .
٥. غايب / بتول الخضيري ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر – بيروت ( ط٤ )٢٠٠٩ .
٦. فراسخ لآهات تنتظر / زيد الشهيد ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر – بيروت ( ط١ ) ٢٠١٣ .
٧. فهرس / سنان أنطوان ، منشورات الجمل – بيروت ( ط١ ) ٢٠١٦ .
٨. ما بعد الحب / هدية حسين ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر – بيروت ( ط١ ) ٢٠١١ .

ثانياً : الكتب :

١. إدوارد سعيد : الهجنة ، السرد ، الفضاء الإمبراطوري / مجموعة من الأكاديميين العرب ، تحرير وإشراف : د.إسماعيل مهنانة ، ابن النديم للنشر والتوزيع – الجزائر ( ط١ ) ٢٠١٣ .
٢. إرادة المعرفة / ميشيل فوكو ، ترجمة ومراجعة وتقديم : مطاع صفدي ، جورج أبي صالح ، مركز الإنماء القومي – بيروت ( د.ط ) ١٩٩٠ :١٠١.
٣. استعمالات الذاكرة في مجتمع تعددي مبتلى بالتاريخ / د.نادر كاظم ، مكتبة فخراوي– البحرين ( ط.١) ٢٠٠٨ .
٤. الأمل والذاكرة خلاصة القرن العشرين / تزفيتان تودوروف ، تر: نرمين عبدالله العمري ، مكتبة العبيكان – الرياض ( ط١ ) ٢٠٠٦ .
٥. الذاكرة التاريخ النسيان / بول ريكور ، ترجمة وتقديم : د.جورج زيناتي ، دار الكتاب الجديد المتحدة – بيروت (ط١) ٢٠٠٩ .
٦. الذاكرة الحضارية – الكتابة والذكرى والهوية في الحضارات الكبرى الأولى / يان أسمن ، ترجمة ومراجعة : عبدالحليم عبدالغني رجب ، الهيئة المصرية العامة للكتاب – القاهرة ( د.ط ) ٢٠١٣ .
٧. المراقبة والمعاقبة – ولادة السجن / ميشيل فوكو ، تر: علي مقلد ، مراجعة وتقديم : مطاع صفدي ، مركز الإنماء القومي – بيروت ( د.ط ) ١٩٩٠ .

٨. بحثاً عن عالم أفضل / كارل بوبر ، تر: د.أحمد مستجير ، الهيئة المصرية العامة – مصر ( د.ط ) ١٩٩٩.
٩. حرق الكتب في التراث العربي / ناصر الحزيمي ، منشورات الجمل – لندن ( د.ط ) ( د.ت ) .
١٠. صنع السياسات العامة / جيمس أندرسون ، تر: د. عامر الكبيسي ، دار المسيرة للنشر والتوزيع والطباعة – عمّان ( د.ت ) ( د.ط ) .
١١. فوكو صحافياً – أقوال وكتابات / تر: البكَّاي ولد عبد المالك ، جداول للنشر والتوزيع – بيروت ( ط١ ) ٢٠١٢
١٢. محارق الكتاب – بحث في استهداف الذاكرة / علي صالح مولى ، مجلة الكوفة ، رئيس التحرير : حسن ناظم ، وعباس كاظم ، التنوير للطباعة والنشر والتوزيع العدد (١) ٢٠١٤ .
١٣. مدخل إلى تحليل السياسات العامة / د.أحمد مصطفى الحسيني ، المركز العلمي للدراسات السياسية – الأردن (ط١) ٢٠٠٢ .
١٤. مذكرات دولة – السياسة والتاريخ والهوية الجماعية في العراق الحديث / إريك دافيس ، تر: حاتم عبد الهادي ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر – بيروت ( ط ١ ) ٢٠٠٨ .
١٥. هابرماس واللاهوت / نيكولاس آدامز ، تر: حمّود حمُّود و شهيرة شرف ، جداول للنشر والترجمة والتوزيع – بيروت ( ط١ ) ٢٠١٦ .

ثالثاً : المواقع الإلكترونية :

١. هابرماس بين مابعد الحداثة وما بعدها / أماني أبو رحمة ، دراسة في ٢٠١٧/٣/٩ ، مدونة إلكترونية .